من أجل الهيكل العظيم نقف بذلة وحدنا ونتوح

من أجل اسوار هذه المدينة نقف بذلة وحدنا ونتوح

من أجل مملكتنا التي بادت نقف بذلة وحدنا ونتوح

آه .. تحنن يا رب على صهيون واجمع شتات ابناء اورشليم

وانتهت زيارتنا « للبراق الشرق » كما هو عندنا ، ولحائط المبكى كما شاع اسمه في العالم ، ولكن رفاقنا للترجمان لم تنته . فقد عرضنا عليه أن يرافقنا الى المسجد الاقصى وكنيسة القيامة ، ويعلمنا من علمه الغزير .

ومضينا معه في شوارع بيت المقدس وزقاقاتها الضيقة المتعرجة حتى وصلنا الى ساحات الحرم الشريف . وقد انفتحت صدورنا لرحابتها ونسماتها الحلوة الصافية ، وما حولها من أسوار وقباب ومآذن ، تأخذ بالالباب .

واقبلنا على مسجد الصخرة ، فاذا بنا أمام تحفة رائعة من الحسن والجمال ، يبهرك بتنسيقه الهندسي الرائع ، وبجدرانه الثمانية الفاتنة ، وقبته الساحرة ، وكأنها تنقل دعوات المؤمنين الى السماء من غير حجاب .

وخلعنا نعالنا ، ودخلنا . وانبهرت ابصارنا بما رأينا ، ونحن ننتقل في موكب من الجمال والجلال من عمود الى عمود ، ومن نافذة الى نافذة ، كلها ذات الوان عجيبة ، وظلال غريبة ، يزيد ذلك كله الخط الجمالي الذي كتبت به الايات القرآنية . وكأنما اسبغ عليه القرآن جماله وجلاله .

وقادنا الترجمان الى درج نزل بنا الى « الصخرة المشرفة » ، التي تقول الروايات الاسلامية انها تعلقت بقدم الرسول (ص) وهو يعرج الى السماء ؛ وكنت قد سمعت الكثير عنها في عكا ، ونحن نستمع الى قصة الاسراء والمعراج . وكانت الصورة الذهنية أروع من المشاهدة الحقيقية . فلم أجدها معلقة كما سمعت . وآثرت ما سمعت على ما رأيت .

وبجانب الصخرة ، رأيت شيخا طاعنا في السن ، يتعبد ؛ كما كان يتعبد الاجيال والاجيال من قبله . لقد كان هيكلا ساكنا لا يتحرك ، انه يتمتم في دعة وسكون هنا حيث الصفاء والهدوء ؛ خلع الدنيا مع نعليه خارج المسجد ، وجاء هنا يترقص بين يدي ربه ، يلتمس العفو والسكينة والرضا . انها ساعة وجد مع الله . وما أسعد اهل الوجد اذا كانوا قد بلغوا محرابه .

وروى لنا الترجمان ، ونحن نسير في جنبات المسجد ، عن جده ، وكان أحد سدنة المسجد ، انهم كانوا كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران والمسك والعنبر ، ويمزجونه بماء الورد ، ويتركونه طول الليل ؛ وفي الصباح يذهب الخدم الى الحمام فيغتسلون ويرتدون الثياب النظيفة ، ثم يحملون أواني الزعفران فيغسلون الصخرة، ثم يبخرونها بمباخر من الذهب والفضة ، وفيها عود الند مخلوطا بالمسك والعنبر . وبعد الفراغ من ذلك كله يخرج المنادون الى الاسواق ، فيدعون الناس الى مسجد الصخرة . ويظل المسجد طيلة الاسبوع وهو يفوح بروائح البخور معطرا بالمسك والعنبر .

قلت للترجمان : ولماذا لا تفعلون ذلك في هذه الايام ؟

قال : الاوقاف فقيرة هذه الايام ، وهذا العمل يحتاج الى نفقة كبيرة . بل ربما لان اجدادنا كانوا يحبون مسجد الصخرة اكثر منا . الله يرحمهم ماتوا . ومات معهم الخير والبركة .